كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: 1817-6789 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

khawam manie muhamad aljumili - jamieat tkryt -klyt aladab -qsim alaijtimae

alrafednn@hotmail.com
٠٧٧٢٣٧٧٧١٠٠هـ

ARTICLE INFO
eulim alaijtimae - alfikr -alaslamy

Article history:
Received 30 Sep. 2018
Accepted 2018
Available online 2018

alaikhtilaf alfikriu bayn alfahm alquranii walaijtimaeii

A B S T R A C T

yatadih min alayat alqurawyi wawaqie alhali, 'anah lays ghrybaan aikhtilaf albashar fi altawrat wal'afkar walmuetaqadat waleadat waltaqalidi, 'iinama algharib 'ana taraa tatabuqaan fi alainsha' waleard 'iimaa ealaa wujud quat mudam waqahirat muktamalat ealaa alrudukh walttaeat , 'aw hi jahl fiat min alnaas tajealuhum 'aqalu min ghirihim? darab min almustahil'a- aikhtilaf qarani: 'ana kl alaikhtilaf aldhy sadar ean rabi alealamin hu mahmud wabina' naqratayn lieard alsuwrat fi safhat wahidatin.
b- aikhtilaf eilmi: hu ma yadulu ealaa aismuh , yakun takafuli bayn aleulama' liakmil 'ahaduhum alakhar fi alfikr walaikhtirae walbina' waltatwir , wabadha yakun kl ealam yabhathun eimalawuhum fi dhlk? altaerif bialaikhtibarat alty tama tahdiduha min qibl:

الاختلاف الفكري بين الفهم القرآني والاجتماعي

د.خوام مانع محمد الجميلي - جامعة تكريت -كلية الآداب -قسم الاجتماع

الخلاصة:

يتضح من الايات القرانية وواقع الحال الاجتماعي، انه ليس غريباً اختلاف البشر في التصورات والأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد، انما الغريب ان ترى تطابقا في الآراء والمواقف لدى شعب او جماعة، لأن هذا مخالف لسنة الله في خلقه كما ذكرنا في الآيات، وان وجدنا تطابق انما يدل اما على وجود قوة مسيطرة وقاهرة تفرض رأيها على الاخرين وتحيرهم على الرضوخ والطاعة، أو هو جهل فئة من الناس تجعلهم يقلدون غيرهم تقليدا اعمى، وكلا الحالتين مخالف لسنة الله ونواميس الارض، لأن محاولة جعل الناس كلهم يؤمنون بفكر او ثقافة او معتقد او حزب واحد هذا ضرب من المستحيل. كما وتوصلنا من خلال الدراسة الى ان الاختلاف يقسم الى عدة انواع منها:

أ- اختلاف قراني: ان كل الاختلاف الذي صدر عن رب العالمين هو محمود وبناء سواء فيما يخص الاختلاف في الطبيعة او في خلق الانسان الظاهر والباطن.

ب- اختلاف علمي: وهو ما يدل عليه اسمه، يكون تكافلي بين العلماء ليكمل احدهم الاخر في الفكر والاختراع والبناء والتطوير، وبذا يكون كل عالم يبحث عمّن يختلف معهم سواء بالاختصاص المغاير لاستكمال مشروعه او في نفس الاختصاص لإثراء افكاره، والاختلاف العلمي غالبا ما يكون محمود باستثناء العلم الذي يخدم مصالح السياسة السلبية التي تعتاش على قتل وتدمير الشعوب وبذا يكون العلم الذي يتفنن بإنتاج الاسلحة علم مذموم.

ت- اختلاف اجتماعي: ويقسم الى:

١- اختلاف محمود: وهو ما يكون بين العقلاء، وبذا يكون عبارة عن عصف فكري وتلاقح افكار يثري ويكمل احدهم الاخر.

٢- اختلاف مذموم: هو بين الجهلاء وغالبا ما يفضي الى مشاكل وخلاف.

٣- اما بين العقلاء والجهلاء لا يكون اختلاف او خلاف استنادا الى قول الله عز وجل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان:٦٣

(الفرقان:٦٣)

ج- اختلاف سياسي: غالبا ما يكون مذموم ويتبع المصالح الاقتصادية والحزبية.

أ- اختلاف ديني: ان هذا النوع من الاختلاف غالبا ما يكون متوازي، نادرا ما يفضي الى وفاق، وقلما يفضي الى خلاف، ولا يمكن ان يؤدي الى خلاف كبير او اقتتال الا اذا تدخلت السياسة لتحوله الى خلاف وتناحر وقتال، ويعتبر هذا النوع اخطر انواع الاختلاف، وهو ما لعب على وتره السياسيون لتمرير مشاريعهم السياسية والمصلحية والاقتصادية، ولا زال هذا النوع من الاختلاف يشكل خطرا على الشعوب والدول، وان كل ما تمر به شعوب المنطقة اليوم من ويلات وحروب وقتل وهجرة وتهجير هو من ضحايا هذا النوع من الاختلاف، ولا يفوتنا ان نقول ان الشريان الابهر الذي يغذي هذا الاختلاف هو الجهل، ونستطيع وصفه بانه(استغلال الساسة للجهلاء).

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وجد الاختلاف في جميع مناحي الحياة الكونية، اختلاف في الطقس والمناخ وفي النبات وفي تضاريس الارض واشكالها، بين جبل وهضبة وسهل ووعر وأودية وأهوار وبحار وغيرها، ونوع تربتها بين الرمل والصخر والطين والمالح والغرين وغيرها، وتختلف الثمار والفواكه فيما بينها من حيث اللون والطعم والرائحة، وتختلف في كثرة انواعها ومواسم نزولها، اما بما يخص بني البشر، فالاختلاف في الشكل واللون والملامح والهيئة واضح على المستوى الجماعي، فالمجتمع الصيني لا يشبه المجتمع الياباني ولا يشبه المجتمع الالماني ولا يشبهون العرب وهكذا بين جميع شعوب الارض، اما على مستوى الافراد فهناك اختلافات كثيرة من حيث الهيئات والاشكال والالوان، واستحالة التطابق بين البشر في الشكل وبصمة الصوت والعين والبنان والحامض النووي، هذا ما توصل اليه العلم الحديث لحد الآن ولا نعرف ما سيكشفه مستقبلا، فضلا عن اختلاف الالسن والعقول والمدارك والتصورات والافكار، وهذه الامور تفضي الى اختلاف السلوك والآراء والأحكام، وكل ذلك من آيات الله في خلقه لحكمة هو يعلمها، حيث يوجد على وجه البسيطة اكثر من ٧ مليار انسان لا يوجد شخصين متطابقين بكل شيء على الاطلاق، لماذا هذا الاختلاف والتنوع العجيب في كل شيء؟ لم تكن كل هذه الاختلافات مصدر خلاف وتضاد كما يدل المعنى الظاهر لكلمة اختلاف الذي يوحي الى التنافر والالا توافق، بل العكس، كانت مصدر ثراء وجمال للكون وإعمار وبناء للأرض، لذا كان الاختلاف بين بني البشر سنة كونية ليس في خلق الإنسان فحسب، إنما هي من ثوابت نظام الخلق وقانون يعيش في دائرته جميع المخلوقات في هذا الكون المتسع، وان العمل على تصفير الاختلاف بين بني البشر يعتبر مناقض لسنة الله تعالى، وفي ذات الوقت سيوقعنا في دائرة التطابق وما تسببه من مخلفات سلبية في حياتنا الشخصية والعامة.

ومن هنا فليس الاختلاف بين البشر في الأفكار والتصورات والمعتقدات والعادات والتقاليد بالأمر الغريب ولكن الغريب هو محاولة البعض جعل الناس كلهم يؤمنون بفكر واحد وثقافة واحدة ومعتقد واحد وقيادة واحدة ونيّة واحدة.

فكل انسان عالم قائم بذاته، ولكل شخص خصوصية، وكل انسان نسيج لوحده، له شفرة خاصة ونكهة خاصة، وشخصية خاصة، لا يوجد تطابق بين الناس رغم وجود قواعد واصول ومنطلقات مشتركة، وهكذا البشر لكل انسان شخصيته ونظرته الخاصة للحياة، وبشكل عام فالإنسان تركيب معقد لا يسبر اغواره الا الذي خلقه وكما وصفه الشاعر:

دواؤك فيك وما تبصر ودائك منك وما تشعر

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

فهناك مثلا مفاهيم لها اكثر من ١٠٠ تعريف، هذا على مستوى علماء الاختصاص، كالبطالة مثلا، والامن، والدين، والفقر وغير ذلك، واذا طرحنا اسئلة على سبيل المثال: ما تقييمك لتاريخنا؟ يراه البعض امجاد ومفاخر ويراه اخر صراع ومآسي، واخر يراه رمادي، ونسبة الرمادي تختلف من شخص لآخر، وهو نفس التاريخ لكن يختلف التقييم.

الانسان احيانا يختلف مع نفسه، ممكن يعطي رأي في الموضوع الواحد مختلف بين فترة واخرى تحت قاعدة(هذاك رأي رأيناه بالأمس وهذا رأي نراه اليوم).

وبناءً على هذا الاختلاف الفكري بين شخص وآخر في الرؤى والمفاهيم والسلوك والمصالح، بدأت الفجوات عبر التاريخ الانساني تكبر في الاختلاف على المصالح والمنافع المادية والمعنوية حتى وصلت اليوم أوج عظمتها، وما نراه اليوم من اقتتال ديني وحزبي وطائفي وفئوي هو من نتاج الاختلاف الفكري الذي يرفده عالم التكنولوجيا زائدا المصالح الشخصية والفئوية والحزبية، مما جعل العالم اليوم يموج بفتن لا يعلم نتائجها الا الله عز وجل، وأصبح الامن الفكري سلاح فتاك لا يقل خطورة عن السلاح الناري والنووي ان لم يكن اكثر فتكاً، لذا اصبح الامن الفكري اليوم مطلب اساسي من مطالب الحياة الفردية والاسرية والمجتمعية، فبإمكاننا ان نقول:

(إن الاختلاف الفكري هو عامل بناء وهدم للإنسانية في آن واحد)، وبناءً على ما تقدم يكون الاختلاف الفكري على ثلاثة انواع:

١- اختلاف ايجابي، وغالبا ما يكون علمي ويكمل الناس بعضهم في هذا المضمار، وهو المقبول غالبا لأنه أمر طبيعي خصوصاً بين أهل المعرفة والنظر والرأي من العلماء والمفكرين.

٢ـ اختلاف سلبي: ومنشأه حب الذات والمصالح الشخصية، والمتعارف عليه (بالاختلاف المصلحي)، وهذا النوع من الاختلاف ينشأ عادة بسبب تضارب المصلحة الشخصية أو مصلحة الجهة مع مصالح الآخرين، ومن هنا تنشأ المشاكل والخلافات والحروب والعداوات والفرقة وتترتب عليه الآثار السلبية والسيئة التي تهدد أمن الفرد والمجتمع والانسانية جمعاء.

فالأول عقل وعلم ورحمة والثاني هوى ومصلحة ونقمة.

٣- وهناك اختلاف طبيعي أساسه نقص المعلومات وهذا الاختلاف لا يمدح ولا يذم.

لذا سنركز في بحثنا هذا على النوعين الاوليين من الاختلاف فقط.

المبحث الاول: الاطار العام للدراسة ومفاهيمها

المحور الاول: عناصر البحث

اولا: مشكلة البحث: الاختلاف الفكري مصطلح مغمور لكنه غاية في الاهمية كونه ينعكس على المنظومة الأمنية برمتها، مما يكون سبباً في انتشار الفتن بأنواعها، ويؤثر على جميع نظم المجتمع الأخرى، فهو أحيانا يؤدي الى الخلاف واحيانا اخرى يؤدي الى البناء والاعمار. ذُكر الاختلاف كثيرا في القران الكريم، وجاء بين السلب والايجاب بين المحمود والمذموم، كما وجاء في المفهوم الاجتماعي بطريقة مقاربة ايضا بين المحمود والمذموم.

وعلى ما تقدم يمكننا صياغة مشكلة الدراسة عبر مجموعة من التساؤلات التي تطمح الدراسة في الإجابة عنها:

١- هل الاختلاف يختلف بين الفهم القرآني والفهم الاجتماعي؟

٢- ما هو الفرق بين الفهم القرآني والاجتماعي؟

٣- هل الاختلاف كما يدل عليه اسمه يعني الخلاف والتنافر والتباعد؟

٤- كيف يمكن معالجة الاختلاف الاجتماعي المذموم ومعالجته؟

ثانيا: اهمية البحث:

تتلخص اهمية البحث بالنقاط التالية

أ- توضيح مفهوم الاختلاف الفكري نظرا لوجود حاجة ماسة لتوضيح مفهومه والمساهمة في تحقيقه في المجتمع لحمايته من الفتن.

ب- تمكين المجتمع من تحصين نفسه لمواجهة خطر الاختلاف المذموم او السلبي وتجاوزه، لأنه المعوق الأقوى ضد الابداع والانتاج والرقي، والتخلص من الانحراف والتطرف والغلو والفتن التي تعصف بالمجتمع الاسلامي.

ت- وتظهر أهميَّة موضوعنا بصفة خاصة بسبب التهديد الفكري الذي استشرى في مجتمعاتنا اليوم، نتيجةً الجهل وإغفال دور التوعية بأهمية الحفاظ على مجتمعنا من الانحرافات التي تهدم عقيدته ومنظومة قيمه الأصيلة.

ث- تنامي المشكلات السلوكية التي أثرت على أمن المجتمع سلبا من جراء الاختلافات الفكرية التي عصفت به.

ج- ان ما تعاني منه الامة بشكل عام والعراق بشكل خاص في عصرنا هذا، من قتل ودمار وتهجير وارباك امني، هو بسبب الاختلاف الفكري الذي ادى الى التكفير والغاء الاخر.

ثالثا: اهداف البحث

أ- التعريف بالاختلاف الفكري وتوضيح اثاره السلبية على الفرد والمجتمع، ولاسيما ان مجتمعاتنا اليوم تمر بفتن كقطع الليل المظلم.

ب- توضيح التفسير القرآني للاختلاف وانواعه.

ت- التمييز بين الفهم القرآني والفهم الاجتماعي لهذا المصطلح.

ث- الفرز بين الاختلاف السلبي والايجابي واسبابهما في المفهومين.

ج- العمل على تنبيه المجتمع على خطر الاختلاف الفكري والخروج عن الوسطية والاعتدال.

المحور الثاني: التعريف بالمفاهيم

أولًا: تعريف الاختلاف والخلاف لغةً واصطلاحاً

أ- المعنى اللغوي: الاختلاف: هو مصدر مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والتاء اختلف أي على وزن افتعل.

الخلاف: مصدر مشتق من الفعل خالف أي على وزن فاعل.

وعلى هذا النحو يقال: خالف يخالف خلافًا ومخالفة، واختلف يختلف اختلافًا، إذًا: فمعنى الخلاف والاختلاف هو المضادة والمعارضة وعدم المماثلة. والخلاصة ان الخلاف والاختلاف في اللغة: هو مطلق المغايرة في القول والرأي والموقف والحالة"[١].

ب- المعنى الاصطلاحي: الاختلاف: أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، أو هو: منازعة تجري بين متعارضَين؛ لتحقيق حق أو لإبطال باطل"[٢]. وبالتالي يمكننا القول: بأن الخلاف والاختلاف يراد بهما مطلق المغايرة، في القول، أو الرأي، أو الحالة، أو الموقف. وهو: "أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"[٣]، كما في قوله تعالى: (وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ)(البقرة:٢٥٣)، وقد فرق بعض العلماء بين الخلاف والاختلاف في الاصطلاح، من عدة وجوه "هي:

- "الاختلاف: ما اتحد فيه القصد، واختلف في الوصول إليه، والخلاف: يختلف فيه القصد مع الطريق الموصل إليه.

- الاختلاف: ما يستند إلى دليل، بينما (الخلاف): لا يستند إلى دليل.
- الاختلاف: من آثار الرحمة، بينما (الخلاف): من آثار البدعة"[٤].
- الاختلاف: من السنن التي جعل الله بها الكون تكاملا وبهجة.
- أما الخلاف: لو حصل خلاف في الكون لاستحالت الحياة.
- الاختلاف: اغلب الاحيان يكون ايجابي، به تتكامل الآراء وتتلاقح الافكار وتزدهر العلوم، ويكمل بعضها بعضا، أما الخلاف فيقود الى التناحر والتضاد والصدام احيانا، مما يضعف المجتمعات والشعوب والامم. الخلاصة: الفرق بين الكلمتين هو: "الاختلاف هو ان يكون الطريق مختلفا والمقصود واحد، والخلاف هو ان يكون كلاهما مختلف"[٥].

ثانيا: تعريف الفكر لغةً: الفَكْرُ والفِكْرُ "إعمال الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ؛ قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَلَا يُجْمَعُ الفِكْرُ وَلَا العِلْمُ وَلَا النظرُ، قَالَ: والفِكْرة كالفِكْر وَقَدْ فَكَرَ فِي الشَّيْءِ وأَفْكَرَ فِيهَ وتَفَكَّرَ وفَيْكَر، كَثِيرُ الفِكْر"[٦].

ومن قال: "لا فكر لي في هذا إذا لم تحتج إليه ولم تبالِ به، وما دار حوله فكري"[٧]. فالفكر هو إعمال الخاطر في الشيء والتفكير به لضمان السلامة من الانحراف والغلو.

تعريف الفكر اصطلاحاً: للفكر في الاصطلاح تعريفاتٌ عديدة من أبرزها ما يأتي:

١- عرفه الزنيدي: "في المصطلح الفكري والفلسفي خاصةً هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم ونحو ذلك، وهو كذلك المعقولات نفسها أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري"[٨].

٢- وعرفه صليبا هو: "الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس؛ دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أُطلق على المعقولات؛ دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس"[٩]. ويدل على ذلك قول الغزالي: "كان لقمان يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليلٌ على طريق الجنة"[١٠].

ثالثا: الاجتماعي: وهي مشتقة من كلمة مجتمع، المجتمع لغة: مشتقة من الفعل (جمع) اي اجتماع الناس على شكل جماعة[١١].

المجتمع اصطلاحاً: كل مجموعة من الافراد تربطهم رابطة ما معروفة لديهم ولها أثر دائم ومؤقت في حياتهم وفي علاقاتهم مع بعض[١٢].

وكذلك يعرف بأنه: جماعة من الناس يعيشون معاً في منطقة معينة وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرهم وشعور بالوحدة كما ينظرون الى أنفسهم ككيان متميز[١٣].

المبحث الثاني: الاختلاف المحمود

لو اردنا طرح سؤال: كيف سيكون شكل الحياة لو كان هناك صنفٌ واحدٌ فقط من المأكل أو المشرب او الملبس؟ أو منظر الطبيعة؟ أو بقيت الشمس مشرقة طول الدهر؟ أو لو غابت بلا نهار؟ وكيف لو استمر انهمار الامطار؟ أو لو استمر الجفاف؟.

فتنوع الحياة واختلاف مواسمها وازهارها ونباتها وفواكهها وخضرتها وجبالها وسهلها ووعرها، وتنوع مواردها ومناظرها، كل ذلك تجميل للحياة كي لا يصاب الانسان بالملل، والاختلاف هو عكس التطابق "والتطابق ينزع من حياتنا الفكرية المحرضات الذهنية على انتاج المزيد من الافكار والمفاهيم، لأن كثير من الافكار الجديدة هو نتاج الآراء المتعددة في القضية الواحدة، فاذا لم يكن امامنا سوى رأي واحد فلن يكون أمامنا سوى التكلس العقلي والجمود الفكري على ما نشاهده في البيئات المغرقة في الجهل والتقليد"[١٤]، ومهما كان الانسان متمكنا من العلم، لا يمكنه ان يحيط بجميع العلوم، ومن مجموع العلوم تنضج الافكار وتتكامل الاشياء وتتنوع المنتجات، فتظافر الجهود والاختصاصات يدفع عجلة الحياة والتطور والنمو، فبالطبيب والمهندس والميكانيكي والفلاح والعامل والسياسي والتاجر والصنائعي وغيرهم تتكامل دائرة الحياة العلمية والعملية حيث يكمل احدهم الاخر لديمومة الحياة، "اذ يستحيل بناء الحياة وقيام شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس ذوي القدرات المتساوية والنمطية المتطابقة، اذ لا مجال عندئذ للتفاعل والاكتساب والعطاء، ذلك انه من طبيعة الاعمال الذهنية والعملية اقتضاء مهارات وقدرات متفاوتة ومتباينة"[١٥]، وهذا من النتاج الايجابي المحمود للاختلاف، فإعمار الارض كان نتيجة الاختلاف في الرغبات والمعارف والتخصصات مما جعلت الخبرات يكمل احدها الاخر، كمثل انتاج السيارة يحتاج فيها الى تظافر جهود الميكانيكي والكهربائي والحداد والصباغ وصانع الزجاج والبلاستك والفايبر واختصاصات اخرى كثيرة لا يستطيع فريق متخصص في مجال واحد من انتاج السيارة بأي حال من الاحوال، وهذا الراي ينسحب على جميع المنتجات الصناعية الاخرى، اذن لابد من معرفة ان الاختلاف سنة كونية حكيمة لإعمار الارض، وعلينا ان نتعامل معها بضوابطها الشرعية ولا نتبنى افكار شخصية تخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي من شأنها تمزيق الامم، والاختلاف المحمود ورد في اصل الخلق كما ويوجد بين العقلاء كما سيرد.

المحور الاول: الاختلاف المحمود في القران الكريم

وردت في القران الكريم آيات كثيرة تناقش موضوع الاختلاف من عدة وجوه، لكنها وردت وكأنها تخاطب شريحة محددة من البشر وهم العقلاء والعالِمين كما ورد في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر:٢٨).

وقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٠).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(البقرة: ١٦٤)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١٩٠).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الروم: ٢٢).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (الجاثية:٥)

الشريحة المخاطبة هي كما وردت (لقوم يعقلون، لأولي الألباب، للعالِمين، لقوم يعقلون)، يا ترى يعقلون ماذا؟ وما هذا التشديد المربوط بين الاختلاف من جهة والعقلاء والعلماء من جه اخرى؟ فالآيات تريد ان تقول ان هذا الاختلاف لا يعرف قدره الا هذه الشريحة، الا ان عوام الناس يعرّف الاختلاف على ظاهر اللفظ على انه تباعد وتنافر، وبذا نستطيع القول ان كل مشاكل الحياة واختلافاتها مرجعه الجهل، فالجهل هو العدو اللدود لبني البشر، لذا كثيرا ما ذم الله الجهل والجهلاء في كتابه الكريم كما **في قوله تعالى:** ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ **(الفرقان: ٦٣)** دلالة على الاستخفاف بالجاهل والاستهانة بقدره قياسا مع عباد الرحمن الذين تميزوا عن غيرهم باعتبار العبودية لله رفعة وسمو، وان العقلاء يترفعون عن صغائر الامور وعن الاختلافات برمتها.

و**قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ **(الزمر: ٦٤)** هنا يعيرهم الله بالجهل ويحط من قدرهم.

وقالَ تعَالَىٰ:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ **(البقرة: ٢٧٣)** توضح الآية ان الجاهل لا يميز بين الامور والمواقف وهذا هو صلب موضوعنا.

اذن: العلم هو الفيصل بين الامور من وجهة النظر القرآنية، فأينما وجد الجهل وجد الاختلاف والشقاق والمشاكل، واينما وجد العلم يكون الاستقرار والامن والبناء، لقول الشاعر:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا — من ذا الذي منهما قد أحرزا الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته — والعقل قال أنا الرحمن بي عرفا
فأفصح العلم إفصاحا وقال له — بأينا الله في فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده — فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

وجد الاختلاف لحكمة من لدن حكيم خبير، وليس اختلاف الليل والنهار فحسب بل جميع انواع الاختلافات دليل من ادلة عظمته وقدرته البالغة، ودقة الصنعة تدل على حكمة الصانع وعظمة المخلوقات تدل على عظمة الخالق، ورغم كثرة الاختلافات في كل مناحي الحياة، لكن لا يوجد ما يعكر صفوة الحياة بسبب الاختلاف في مخلوقات الله، رغم ان الحياة بنيت على الاختلاف كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ (هود: ١١٩).

بما ان الاختلاف الكوني في القران الكريم جاء لأعمار الارض، فلابد من الاشارة الى ان الله خلق البشر لإعمارها ايضا، واكدت ذلك كثير من الآيات القرآنية نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود:٦١)

وقوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ ﴾ (النحل: ١٤)

وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴾ (لقمان: ٢٠)

اذن لو كان مفهوم الاختلاف في القران الكريم غير البناء والاعمار، فكيف سيعمر الانسان الارض وكيف يكون خليفة الله في ارضه كما وضحت ذلك الآيات الكريمة في **قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ (البقرة: ٣٠)**؟فالإعمار والهدم لا يجتمعان.

اذن فالاختلاف الكوني كله خير ومحمود وفي بناء الانسانية، والاختلاف المذموم كله من صنع البشر، كما قال احد الحكماء: (خلق الله الكون فملأه بهجة وجمالا وخلق الانسان المدينة فملأها جوراً وبهتانا).

المحور الثاني: الاختلاف الاجتماعي المحمود

ان مخاطبة الباري عز وجل للعقلاء في آيات الاختلاف، لها مدلول واضح على ان الاختلاف لا يستوعبه عامة الناس الذين يفسرونه على ظاهر القول كما ذكرت.

ورد في القرآن الكريم وبمواقف عدة، اختلافات تصلح ان تكون دروس وخارطة طريق لجميع المسلمين وللبشرية عامة، سنكتفي بمثالين فقط من القرآن الكريم لعدم سعة البحث، المثال الاول: مخاطبة الباري عز وجل لنبينا موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام، عندما طغى فرعون وتجبر وتمرد على كلام الله، دعى الله نبيه بالذهاب الى فرعون ومخاطبته بأسلوب مهذب يليق بجلال الله عز وجل وبشخصية نبيه رغم تجبر فرعون وطغيانه واختلافه معهم في الرأي والفكر والعقيدة، في قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ **(طه: ٤٤)** فهذا درس لبني البشر في كيفية التعامل مع المختلف ومعالجة الاختلافات واحتواءها لا تحويلها الى خلاف وشقاق وهدم للمجتمع، بإسلوب حوار بنّاء بعيدا عن الخلاف والتصادم.

المثال الثاني: ورد في كتاب ربنا جل جلاله على لسان نبيه هارون عليه وعلى نبينا افضل الصلاة واتم التسليم، لما عد الاختلاف اكبر خطرا واشد ضررا من عبادة الاوثان، حين صنع السامري عجلا من ذهب بغياب نبي الله موسى عليه السلام ما وضحت ذلك الآية الكريمة ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ **(طه: ٨٨)**.

عندها وعظ هارون قومه بالحكمة وبقي ينتظر اخاه موسى عليهم السلام، ولما جاء موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة واتم التسليم، ورأى القوم عاكفين على العجل، غضب غضبا شديدا ومسك اخيه من راسه ولحيته بقوة معنفاً اياه، فكان جواب اخيه غاية في الحكمة: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ **(طه: ٩٤)** فجعل خوف الفرقة والاختلاف بين قومه عذرا له في عدم التشديد في الانكار عليهم فيكون سببا في الفرقة، لذا فضل ان يعبدوا الاوثان على ان يزرع فيهم الخلاف.

وان العقلاء غالبا ما يخرجون من الاختلاف اما بإثراء موضوع الاختلاف او برأي ثالث يلاقح بين الرأيين، والدليل على ان اختلاف العقلاء رحمة، هو ان رواد المذاهب الفقهية الاسلامية كانوا على درجة من التوافق والتلاقح في الفكر والراي والعلاقة، وكانت العلاقة بين من تعاصر منهم علاقة طالب بشيخه،

أي كل مودة واحترام وتقدير. "اختلف الإمامان الجليلان مالك والشافعي رضى الله عنهما، فالإمام مالك يقول إن الرزق بلا سبب، بل بمجرد التوكل الصحيح على الله يُرزق الإنسان مستنداً للحديث الشريف (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)، أما إمامنا الجليل الشافعي فيخالفه في ذلك، فيقول لولا غدوها ورواحها ما رزقت، أي أنه لابد من السعي. وكل على رأيه. فإمامنا مالك وقف عند (لرزقكم كما يرزق الطير) وتلميذه الشافعي قال لولا الغدو والرواح لما رزقت. فأراد التلميذ أن يثبت لأستاذه صحة قوله، فخرج من عنده مهموما يفكر، فوجد رجلا عجوزا يحمل كيسا من البلح وهو ثقيل فقال له: أحمله عنك يا عماه، وحمله عنه، فلما وصل إلى بيت الرجل، أعطاه الرجل بضع تمرات استحسانا منه لما فعله معه، هنا ثارت نفس الشافعي وقال: الآن أثبت ما أقول، فلولا أنى حملته عنه ما أعطاني، وأسرع إلى أستاذه مالك ومعه التمرات ووضعها بين يديه وحكى له ما جرى وهنا ابتسم الإمام الرائع مالك وأخذ تمرة ووضعها فى فيه وقال له: وأنت سقت إلىّ رزقي دونما تعب منى. فالإمامان الجليلان استنبطا من نفس الحديث حكمين مختلفين تماما وهذا من سعة رحمة الله بالناس، وهى ليست دعوة للتواكل.

ويحكى أن ابراهيم بن ادهم(وهو احد العلماء المعروفين) كان في سفر له وكان تاجرا كبيرا، وفى الطريق وجد طائرا جارح قد كسر جناحه، فأوقف القافلة وقال: والله لأنظرن من يأتي له بطعامه، أم أنه سيموت جوعا، فوقف مليا، فاذا بطائر يأتي ويضع فمه في فم الطائر المريض ويطعمه، هنا قرر إبراهيم أن يترك كل تجارته ويجلس متعبدا بعد ما رأى من كرم الله ورزقه، فسمع الشبلي بهذا فجاءه وقال: ماذا حدث لتترك تجارتك وتجلس في بيتك هكذا؟ فقص عليه ما كان من أمر الطائر فقال الشبلي قولته الخالدة: يا إبراهيم، لم اخترت أن تكون الطائر الضعيف ولم تختر أن تكون من يطعمه؟ ولعله يقول في نفسه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)"[١٦]، هنا اقتنع الشيخ ابراهيم وعاد لعمله، فكل اختلاف ما لم يصاحبه تعصب هو عامل إيجابي مهما كبر، ففي النهاية لا يصح إلا الصحيح.

يقال بأن الامام الشافعيِّ اختلف مع تلميذه النجيب يونس الصَّدفي، فقام التلميذ غاضبًا وترك الدرس ورجع لبيته، وفي الليل ذهب الإمام الشافعيُّ لبيت يونس، فقال له: يا يونس: تجمعنا مئاتُ المسائل وتُفرِّقنا مسألةٌ!؟ يا يونس: لا تحاول الانتصار في كل الاختلافات، فأحيانًا كسب القلوب أَولى من كسب المواقف، يا يونس: لا تهدم الجسور التي بنيتَها وعبرتَها، فربما تحتاجها للعودة يومًا ما، اكره الخطأ دائمًا، ولا تكره المخطئ، يا يونس: انتقد القول لكن احترم القائل؛ فإن مهمتنا أن نقضي على المرض، لا على المريض، واعلم بأن (كلنا يؤخذ منه ويرد عليه الا محمد(صلى الله عليه وسلم).

ويقول احد العلماء: ولو أن أولي الألباب اتفقوا جميعاً على رأي لما أصبح هناك داع للحوار وتبادل الآراء والخروج بنتائج جوهرية.

إن الاختلاف الفكري هو الطريقة المثلى لتطوير الفكر، ولولا وجود فكر جديد يتعارض مع ما سبقه، لما وجد ما يسمى بتطور الفكر وتجديده على مر الأزمان، وان كل ما موجود على كوكب الارض من تقدم في جميع المجالات يعود فضله الى الاختلاف، ولو ان البشر خلقوا سواسية في كل شيء لما كان هناك اي اعمار او ازدهار، لكن حكمة ربك أن جعل الاختلاف سنة كونية لغرض الاعمار، ولابد ان نؤكد بأن وجود الاختلاف بين البشر أمر طبيعي ولا يمكن اجبار الناس على الخروج عن دائرته، وحتى المنهج التشريعي للمسلمين المحكوم بالكتاب والسنة اللتان تخرجان من مشكاة واحدة، يوجد اختلاف في التشريع الاسلامي، ولا نستطيع ان نعتبر هذا الاختلاف عنصر هدم للمجتمع بقدر ما هو حكمة اوجدها الله في نزول التشريع مع امكانيات وظروف المسلمين المختلفة بحسب الزمان والمكان وقيم المجتمعات، واكبر دليل على ذلك تعدد القراءات في كتاب الله الذي جاء ليتناسب مع اختلاف اللهجات في أرجاء المجتمع العربي الذي يتكلم لغة واحدة، "وإن محاولة رفع الاختلاف في التشريع الاسلامي لا تثمر إلا توسيع دائرة الخلاف، وهي محاولة تدل على سذاجة بيّنة، ذلك أن الاختلاف في فهم الأحكام الشرعية غير الأساسية ضرورة لا بد منها، والذي أوجب هذه الضرورة طبيعة الدين، وطبيعة اللغة وطبيعة البشر وطبيعة الكون والحياة"[١٧].

وبالاختلاف البنّاء "تتقدم العلوم وتنشأ الحضارات، وتنمو المدارس الفكرية والمذاهب الفلسفية وغيرها، وفي ظله يصبح من المألوف أن توجد المذاهب المختلفة، والمجتمع الذي لا تنمو فيه هذه الاختلافات هو مجتمع سقيم وهذا ما تشير إليه الروايات بأن الاختلاف رحمة"[١٨].

ومن فوائد الاختلاف البناء:

١- الاثراء العلمي
٢- رياضة الذهن بالتفكير والنقاش.
٣- العصف الفكري وتلاقح الآراء.
٤- تعدد الاختصاصات للإحاطة بمختلف مناحي الحياة.

يؤكد الدكتور عبد الكريم بكار "أن الاختلاف في الفكر إثراء للحراك الثقافي، وذو فوائد جمة حيث يمكن من خلاله الاطلاع على فكر الآخر والاستفادة منه، موضحا أن هذا الاختلاف مصدر قوة ضرورية للتنوير، وهذا الاختلاف موجود في كل العالم، ولولا هذا الفكر لما عشنا في عالم القرية الصغيرة وفي هذا الرخاء الفكري من حولنا"[١٩].

ومن فوائد الاختلاف انه يؤدي الى التقدم العلمي على جميع المستويات، سياسيا واقتصاديا وثقافيا،

فالعلماء ليسوا على فكر واحد، فمن مجموع الافكار يثري احدها الاخر فيتحقق التقدم العلمي والتنمية البشرية وزيادة الانتاج.

المبحث الثالث: الاختلاف المذموم

لله في عبادة سنن كونية فطرية جبلية في اصل خلق الانسان، تشمل كل اصناف البشر، منها: التشبث بالحياة وحب النجاح وحب التميز وحب الكمال وحب الصدق وحب المال وحب العدل وحب الجنس وغرائز كثيرة اخرى، والناس بكل طوائفهم مجمعة على حب الفضائل، نعم، ان بني البشر يحبون الكمال ويسعون له، فالجميل والدميم نفس الشيء من الداخل، الفطرة ان تحب الخير وقد لا تكون خيّراً، ان تحب العدل وقد لا تكون عادلاً، الفطرة ان تحب الصدق وقد لا تكون صادقاً، فالفطرة وحب الكمال شيء وان تسعى له شيء اخر، ان تحب النجاح شيء وان تعمل له شيء اخر، فحب الغرائز شيء والسعي لها شيء اخر، وكيفية السعي شيء مختلف ايضا، وهذه الغرائز تجعل الانسان احيانا يرجح مصلحته على مصالح الاخرين وهنا مكمن الاختلاف الذي يفضي الى الخلاف وانحدار بعض الناس في مستنقع الرذيلة والانحراف والاجرام ووو ... الخ من الامور المشينة.

المحور الاول: الاختلاف المذموم في القرآن الكريم

وردت آيات كثيرة في ذم الاختلاف، وكل هذه الآيات تدل على ان الاختلاف المذموم هو من صنع البشر، وكل اختلاف من صنع الله عز وجل يكون محمود، كما ذكرت في المبحث السابق، وحاشا لله ان يخلق شيء مذموم، أما بعض الآيات التي وردت في ذم الاختلاف والتحذير منه والوعيد لمن قام به، لأنه مصدر هدم للإنسانية ولما بناه الله فمنها قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(البقرة: ٢١٣).

١- وقال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(البقرة:١١٣).

٢- ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾(مريم: ٣٧).

٣-

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (آل عمران:١٩).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾(الزمر:3)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (الشورى:١٠)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (النور:٦٣).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾(آل عمران:١٩).

وصف تعالى الاختلاف في الآيتين بسورة البقرة بالبغي والعدوان، وعندما اختلف اليهود والنصارى في ادعاء الحق رغم وجود الكتاب الذي ينطق بينهم، شملهم تهديد الله عز وجل على هذا الاختلاف، وجميع الآيات التي جاء فيها الاختلاف لا تخلو من تهديد من الله عز وجل للمختلفين، وعُدّ الاختلاف في سورة مريم من الكفر وفي سورة الزخرف من الظلم، كانت كل مدلولات الآيات تتفق على ان الاختلاف المذموم هو من صنع البشر **لقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾(النساء: ٨٢)** أي ان الله تبارك وتعالى ذم الاختلاف الهدام وتبرأ منه ورفضه، ويتضح من مدلول هذه الآية ان الاختلاف هو ليس من عند الله، أي ان الاختلاف قطعا من صنع البشر هذا اولا، ثانيا: توحي الآية بأن الاختلاف بين البشر امر جبلي فطري كما في قوله تعالى لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف أي ان الاختلاف سيكون حتمي، الا انه مرفوض من الله وسيعاقب الذين يسعون للاختلاف بعقاب شديد، لان الاصل في الحياة هو التوافق، اما الاختلاف بين البشر فهو دخيل ومذموم، وابسط مثال على الاختلاف المذموم هو ما عاناه المجتمع العراقي بسبب الاختلاف الفكري حيث القتل والتهجير والتكفير وما صاب المجتمع من ويلات كان مصدره الاختلاف الذي أدى الى الشقاق والتمزيق، أما الاختلاف الكوني فهو محمود دائما وجاء من باب تجميل الكون واعماره، وبضدها تتميز الاشياء.

المحور الثاني: الاختلاف الاجتماعي المذموم

هناك بعض السلوكيات السلبية لتحقيق الغرائز قد تكون عامل اختلاف يفضي الى الخلاف اذا ما ضبطت بضوابطها الصحيحة، كالحسد والبغضاء والأهواء والغيرة والغرور والكبر وسوء الظن وحب الذات وغيرها من عوامل اخرى كما ذكر قسم منها الشاعر بقوله:

اني بليت بأربع ما سلطوا — الا لكثرة شقوتي وعنائي

ابليس والدنيا ونفسي والهوى — كيف السبيل وكلهم اعدائي

مضافا الى ذلك عوامل اخرى تؤثر في طريقة التفكير وتسبب الاختلاف بين بني البشر وترسم طريقة التفكير والرؤية لكل حالة، ومن هذه العوامل على سبيل المثال:

١- الخلفية الثقافية. ٢- منطلقات التفكير. ٣- زوايا النظر. ٤- سعة الخيال. ٥- قوة الذاكرة. ٦- التنشئة الاجتماعية. ٧- الدين. ٨- طريقة فهم الحياة. ٩- المستوى العلمي. ١٠- عمر الانسان وتجاربه الحياتية. ١١- حب الذات. وعوامل اخرى كثيرة ذاتية وخارجية تسبب الطباع المشينة، وبناءً على ذلك هناك قاعدة اجتماعية مفادها (ان الانسان يأنس بالإنسان، وأكثر من يخافهم بنو آدم، هم بنو آدم انفسهم).

وان الناس لا يمكن ان يتفقوا في كل شيء، كما يوضح السيد بكار "وذلك بسبب نوعية تركيبنا العقلي وتنوع خلفياتنا الثقافية بالإضافة الى طبيعة القضايا التي نفكر فيها والادوات التي نستخدمها، واساليب التنشئة والعوامل الوراثية وعوامل اخرى كثيرة، إني موقن بأن عقولنا ونفوسنا صورا متنوعة كصور وجوهنا على نحو تام، فملامح وجوهنا العامة موحدة، وهذا هو الاطار الجامع للفكر الانساني بكل ما فيه من تناقضات، ولكن الاختلافات اليسيرة على مستوى لون البشرة وحجم الانف وشكل جباهنا وأنوفنا وعيوننا، أوجدت هذا التنوع الهائل بين مئات ملايين الوجوه"[٢٠]، وبما ان بني البشر مختلفون كما ذكرنا في أمور خَلقية كثيرة كبصمة العين وبصمة الصوت وبصمة الاصابع والحامض النووي وتقاسيم الجسم وغير ذلك كثير، ولا يوجد على وجه البسيطة اثنان من البشر متطابقين بالصفات المادية، اذن لا يوجد اثنان يتطابقان كذلك في السلوك والتفكير، لذا كان الاختلاف كثيرا بالمصالح والنزعات والاهداف والنوايا والسلوك مما يصل الاختلاف في احيان كثيرة حد الخلاف والنزاع والاجرام.

وان ما تعاني منه الشعوب اليوم من اضطهاد وظلم وقتل وتهجير وتشريد هو بسبب النزعات العدوانية التي ينتهجها بعض البشر لتحقيق مآربهم الشخصية والحزبية والفئوية، وان كل ما يصيب الانسانية اليوم والعراق على وجه الخصوص، هو بتفعيل الاختلاف العقائدي والمذهبي والطائفي والعرقي والاثني، باستغلال جهلاء الناس وزجهم في مشاريع هدموية لنخر جسد الامة وتفتيت نسيجها الاجتماعي، ذلك النسيج الذي حاولت اقوام كثيرة عبر التاريخ على تفتيته ولم تفلح، لأن القيم الاجتماعية تنمو وتنتشر في سلوكيات الشعوب وتتصلب مع مرور الزمن، وبلد مثل العراق عمره الاف السنين، لا يمكن تفتيت قيمه بسهولة، لأنها راسخة ومتصلبة يصعب تمزيقها، ربما يمكن اضعافها، اما تمزيقها فهذا شيء في غاية الصعوبة لأن هذه القيم متجذرة في عمق التاريخ، وفي النهاية لا بد لها من الثبات والنمو مرة اخرى، وهذه ليست التجربة الفاشلة الاولى التي يجريها اعداء الامة لتمزيق البلد، ولا

يفوتنا ان نذكر بأن الحرب المعاصرة انتهجت اسلوب جديد من المعارك وبسلاح جديد كما وضح ذلك احد الكتاب الغربيين في مقال له وهو يقسم سلاح الحروب عبر التاريخ الى اربعة اجيال:

الجيل الاول: السلاح الابيض – المتمثل بالسيف والرمح وما شابه.

الجيل الثاني: السلاح الناري

الجيل الثالث: السلاح النووي

الجيل الرابع: السلاح القيمي: والذي يتلخص بأن تترك عدوك يحارب نفسه بنفسه باستثمار الاختلافات العرقية والدينية وتأجيجها.

ويقول: روجيه غارودي: (ان الغرب اليوم يقاتل بالتكلفة الصفرية، العدو يقتل نفسه بنفسه، العدو يدفع ثمن السلاح، العدو يطلبنا للتدخل فلا نقبل).

إن حروب الجيل الرابع على حد قول غارودي: لأن تهيء لخلق دولة فاشلة، هذا يتم عبر نقاط كثيرة اهمها:

١- خلق صراع ايديولوجي داخل الدولة، مثل الصراعات الطائفية او العنصرية او المذهبية.

٢- استخدام الاطفال وتدريبهم حتى ينشا جيل بثقافة القتل والتدمير وليس بثقافة البناء والتحضر...

وهذا وصف حالنا اليوم؟؟

اذن اصبح الاختلاف سلاح يستخدمه العدو ضد الامم الضعيفة لتقتل نفسها بنفسها مثلما حصل في العراق، حينما حصلت الفتن التي راح ضحيتها الكثير من ابناء المجتمع العراقي بسبب الاختلافات الفكرية العقائدية التي نمت بأحضان الجهل الذي نتج عنه التطرف الفكري الذي يبيح قتل المسلم للمسلم المخالف له في المذهب او الدين او الطائفة.

يقسم الاختلاف الى اقسام عديدة منها الاجتماعي والسياسي والعلمي والديني والاممي والدولي والمجتمعي والقبلي والجماعي والحزبي والفردي وانواع اخرى كثيرة، ولكن أخطرها واشدها ضراوة هو الاختلاف العقائدي المدعوم بالجهل والذي غالبا ما يفضي الى الخلاف، وان هذا النوع اصبح مرتع خصب لعشاق الحروب وتجار الدماء من الساسة، وهذا هو الاختلاف المذموم بأبشع صوره.

ان للاختلاف الفكري المذموم صور واشكال كثيرة سواء من حيث النوع او الكم او الكيفية كما ذكرنا سابقا، فعلى الصعيد المجتمعي كان العراق خير مثال، واما على الصعيد الفردي، فالاختلاف المذموم يورث العداوات التي تورث الهم والقلق والحقد والبغضاء والامراض النفسية والاجتماعية كما قال المتنبي:

والهمُّ يخترمُ الجسيم نحافةً ويُشيبُ ناصية الغلامِ ويُهرِمُ

وإليك بعض الآثارِ الصحية لهذه الصفات:

- "القلقُ يرفع ضغطُ الدمِ.
- القَلَقُ يمكن أن يتسبب في أمراضِ الروماتيزم.
- القلق يسبب مرض الغدَّةُ الدرقيةُ.
- القلقُ يسبب مرض السكري.

يقول احد الحكماء(خفِّفْ من قلقِك إكراماً لجسدك)

وفي ترجمة لكتاب د. كارل مانينغر، أحد الأطباء المتخصصين في الطبِ النفسي، وعنوانه: (الإنسان ضدّ نفسه)، يقول: (لا يعطيك الدكتور مانينغر قواعدَ حولَ كيفيةِ اجتنابِ القلقِ، بل تقريراً مذهلاً عن كيف نحطمُ أجسادنا وعقولنا بالقلقِ والكبْتِ، والحقدِ والازدراءِ، والثورةِ والخوْفِ).

كما وتسبب – الهموم – تقزيم العقل – اشغال الفكر – اثار نفسية سيئة – سوء الطباع– الحزنُ – القلقُ – الحِقْدُ، ويمكن أن تؤثر في توزيع الكالسيوم في الجسم، وبالتالي تؤدي إلى تَلَفِ الأسنانِ"[٢١].

التوصيات

انطلاقاً من أهمية تحقيق الأمن الفكري، واستناداً إلى ما ورد في ثنايا هذا البحث، أتقدم بالتوصيات الآتية:

١- إجراء المزيد من البحوث والدراسات حول بناء ثقافة الاختلاف وتقبل الاخر وهي وظيفة جماعية تخص جميع المؤسسات المجتمعية كالأسرة والمدرسة والمسجد والجامعات وكافة مؤسسات المجتمع المدني، والعمل على تحصين فكر المجتمع، لأن استفحال ظاهرة الاختلاف الفكري يهدد المجتمع بأسره.

٢- العمل الجاد على التنبيه من مصادر الانحرافات الفكرية التي تتسبب بصناعة التطرف فكرياً وكشف ذلك، ومن أبرزها وسائل التواصل الاجتماعي الذي دخل في كل أسرة.

٣- يجب القضاء على الجهل والأمية ونشر العلم بأنواعه والتركيز على العلم الشرعي ودعم الحوار الوسطي المعتدل، ومحاربة الغلو والتكفير.

٤- إنشاء قنوات اعلامية إسلامية لرصد كل ما يتعرض للأمن الفكري سواء من الداخل أو الخارج.

الهوامش

١ – الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط٢، دار القلم، دمشق، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ص٢٩٤.

٢ – عوامه، محمد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٨.

٣ – المصباح المنير في غريب شرح الوجيز.الفيومي، أحمد بن محمد، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٧٩.

٤ – الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٦١.

٥– عوامه، محمد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، (مصدر سابق)، ص١٠.

٦– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر– لبنان– بيروت، ط٣، (بدون تاريخ نشر)، ص١٦٢.

٧– الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار صادر– لبنان– بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٧٩.

٨– الزبيدي، عبد الرحمن، حقيقة الفكر الإسلامي، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية١٤٢٢هـ، ص١٠.

٩– صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني– لبنان– بيروت، ١٩٨٢م، ص١٥٦.

١٠– إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد الغزالي، علق عليه جمال محمود محمد سيد، دار الفجر للتراث– القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩، ٨٦/٥.

١١– لسان العرب، لابن منظور، (مصدر سابق)، ص٢٠٥.

١٢– فؤاد خليل، المجتمع النظام البيئة في موضوع علم الاجتماع وإشكاليته، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨م، ص١٢.

١٣– نفس المصدر، ص١٣.

١٤– عبد الكريم بكار، ادارة الاختلاف، مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول، ٢٠١٨م، ص٨.

١٥– طه جابر العلواني، ادب الاختلاف في الاسلام، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١١.

١٦ – www.almasryalyoum.com/news/details/965649

١٧– طه جابر العلواني، مصدر سابق، ص٥٦.

١٨- عبد الكريم بكار، ادارة الاختلاف، مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول، ٢٠١٨م، ص١١.

١٩- نفس المصدر، ص٢٣.

٢٠- نفس المصدر، ص٢٧- ٢٨(بتصرف).

٢١ - نفس المصدر، ص٧٢.

المصادر والمراجع

١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر- لبنان- بيروت، ط٣، (بدون تاريخ نشر).

٢- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط٢، دار القلم، دمشق، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار صادر- لبنان- بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٧٩.

٤- الزبيدي، عبد الرحمن، حقيقة الفكر الإسلامي، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية١٤٢٢هـ.

٥- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني- لبنان- بيروت، ١٩٨٢م.

٦- المصباح المنير في غريب شرح الوجيز.الفيومي، أحمد بن محمد، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٧- طه جابر العلواني، ادب الاختلاف في الاسلام، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥م.

٨- طه جابر العلواني، ادب الاختلاف في الاسلام، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥م.

٩- الغزالي، أبو حامد محمد ، إحياء علوم الدين، دار الفجر للتراث- القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

١٠- فؤاد خليل، المجتمع النظام البيئة في موضوع علم الاجتماع وأشكاليته، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨م.

١١- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م،

١٢- عبد الكريم بكار، ادارة الاختلاف، مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول، ٢٠١٨م.

١٣- عوامه، محمد، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، دار البشائر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

١٤- عبد الكريم بكار، ادارة الاختلاف، مكتبة الاسرة العربية، اسطنبول، ٢٠١٨م.

مواقع النت

www.almasryalyoum.com/news/details/965649